

نماذج من كتابات حول شكيب أرسلان

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

عاش شكيب حياته كلّها لغرضين إثنيين، عمل لهما خلال أربعين سنة كما استطاع أن يعمل، موّزع القلب بينهما، هما الجهاد الأدبيّ في سبيل التراث العربيّ، والجهاد السياسيّ في سبيل الأمة العربيّة الإسلاميّة. وقد أخذ كلّ منهما من وقته ما أخذ الآخر، واستنفذ طاقته في سبيلهما جميعًا، فلم ينتصر في أيّ منهما كما يجب أن ينتصر، لأنّهما لم يُخلقا لرجل واحد، ولم يُكتبا لقلب واحد في الحياة. فالأدب شيء، والجهاد السياسيّ شيء آخر. ولكنّ الأمير شكيب أراد أن يملك البيان وأن يملك السياسة معًا، وأن يكون في كليهما يخفق ولا يتأخّر، فلم يُكتب له أن يكون كما أراد. ولو خصّ شكيب نفسه بالبيان وحده، وانصرف إلى الشعر والنشر والتأليف في التاريخ الإسلاميّ، لكان نادرة الزمان وواحد العصر، ولو خصّ نفسه بالسياسة وحدها لكان زعيم البلاد العربيّة والإسلاميّة وحده، لا ينازعه في المنصب والمقام منازع. ولكنّه سار في السبيلين معًا، وانصرف إليهما جميعًا، فأصبح شيئًا كثيرًا في السياسة، ولكنّه سجّل في كليهما هتات تؤخذ عليه، وتقصيرًا يُشار إليه.

ألّف في "شوقى" فلم يكن زعيم النقد وإمام الأدب، وألّف في "رشيد رضا" فلم يكن زعيم السياسة الفرد، لأنّ قلمه في الكتابين معًا كان صورة لحياته، وحياته كانت موّزعة بين هذا وهذا. لم ينصرف كلّ وقته إلى الأدب، فيؤلف في الأعلام الذين عرفهم، والشعراء الذين قرأ لهم، وفي الشعر والنثر اللذين عاصرهما، وهو أديب ناثر مترسّل من الطراز الرفيع، وشاعر قويّ ذو أسلوب متين. ولم يجعل أوقاته كلّها للسياسة العربيّة، ولم يَعْشَ في معمعان هذه السياسة وفي قلب هذه المعركة، فلم يَقم في البلاد العربيّة خلال جهاده في سبيلها، وإنّما كان بعيدًا يترصد أخبارها، ويتلقّى أنباءها عن الصحف والرسائل والكتب المؤلّفة والأبناء المذاعة، تتضارب في سمعه كما تتضارب الموجات المتصارعة في قلب المذيع، لا يكاد يتبيّن السامع إلا بشقّ النفس وإعمال الفكر والقياس. ومع ذلك كان شكيب يبدي فيها رأيه، ويرسل فيها مقاله، ويكتب في أمرها رسائله، فإذا هو يخطئ كثيرًا ويصيب كثيرًا، في فهم هذه السياسة، فلا هو يستطيع توجيهها، ولا هو يستطيع أن يتقبّل التوجيه على علّاته. وذلك لأنّه كان يستمدّ آراءه في حاضر العرب والإسلام من مصادر قد يعلق بها الظنّ والتجريح، فإذا شكّ عاد إلى التاريخ القديم يستوحي صدق النبأ وصحّة الرأي، فيقع فريسة التفسير القديم للأحداث الجديدة، وليس هذا التفسير دائمًا صحيحًا وقويًا صادقًا، ينطبق أتمّ الانطباق من غير نظر إلى فارق الزمن والظروف.

سامي الدهان،

الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره، مصر، دار المعارف، ١٩٦٠، ص ٣٥١-٣٥٢.

###

أحد أعلام اليقظة العربيّة والسياسيّة والثقافيّة في العالمين العربيّ والإسلاميّ ، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. مجاهد عربيّ كبير، ومصلح اجتماعيّ يأتي في عداد كبار الدعاة للإصلاح الإسلاميّ في الشرق. عالم أديب، وصحافيّ ناهض، وسياسيّ مناضل ، ومؤرّخ طُلعة، كان سجلًّا حيًّا للنهضة العربيّة القوميّة التي اشترك في وضع أسسها ورفع عمادها منذ نشأتها. كان عضوًا في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، تولّى رئاسته ردحًا من الدهر. أتقن اللغات التركيّة والفرنسيّة والألمانيّة، وكان إمامًا بالعربيّة.

وقد ساهم الأمير شكيب أرسلان في فضل إبراز عبقرية الأمة العربيّة في العلوم والآداب والفنون، كما عمل على إيقاظ الشعوب الشرقيّة وتحريها السياسيّ، فهيئاً بمساعيه المتصلة فجر الانبعاث السياسيّ العربيّ، وحمل هذه الرسالة نصق قرن وتيفًا.

فهو من رجال العلم والعمل في تاريخ العالم العربيّ الحديث، فجمع الإستبحار في اللغة ، والتمكّن من أسرار البيان ، إلى فحولة في النظم والنثر، ومعرفة واسعة بما يتّصل بالتاريخ العربيّ والإسلامي، قديمًا وحديثًا، وخبرة بشؤونه العامّة في السياسة والإجتماع والإقتصاد. فكانت له جولات صادقة: في السياسة والأدب، واللغة والشعر، والتاريخ والجغرافية الشرقيّة، والتتبع العلميّ، والإجتماع والإقتصاد، والتصنيف والتأليف، والفقه والترجمة، والشرح والتفسير، قلما نجد له مثيلاً بين نوابغ العرب، فقد لُقّب بحق: " أمير البيان وحامل لواء الصناعتين".

أنّحف المكتبة العربيّة بمجموعة كبيرة من المؤلّفات، ونشر في الصحف والمجلّات مئات من البحوث والمقالات جعلته من أكبر كتّاب المقالة الصحفيّة في الأدب العربيّ الحديث. وقد ترك، الى جانب مطبوعاته هذه، مدوّناته السياسيّة ومدكّراته لعصبة الامم، وهي مدكّرات بالفرنسيّة، تُعدّ في تقدير بعضهم، ٢٠ ألف صفحة أهدى مجموعاتها، على ما اتّصل بنا، لوزارة الخارجيّة السوريّة. كذلك ترك ما لا يقلّ عن ٣٠ ألف رسالة، إذ كان يكتب في السنة ما لا يقلّ عن ٧٠٠ رسالة، اقتضتها صلته الوثيقة بكثير من الملوك والأمراء، والوزراء والعلماء، ورجال الأدب والسياسة والإدارة والدين، في كلّ حواضر العالم الإسلاميّ، من شطآن المغرب إلى سواحل هندونيسيا، وهي حصيلة لا تُقدّر بثمن نرجو أن تكون مصنونة محفوظة عند من آلت إليهم ترّكة الأمير الأرسلايّي.

والميزة التي اشتهر بها السيّد الأرسلايّي الإحاطة المدهشة بأحوال العرب وشؤون المسلمين، يشهد على ذلك تعليقاته وشروحه الوافرة على كتاب "حاضر العالم الإسلاميّ" لستودارد، وهو الكتاب الذي عُني بنقله إلى العربيّة البحّثة عجاج نويهض.

يوسف أسعد داغر،

"شكيب أرسلان (الأمير)، ١٨٧٠-١٩٤٦/١٢/٩"، في مصادر الدراسة الأدبيّة - الفكر العربيّ الحديث في سير أعلامه، الراحلون (١٨٠٠-

١٩٥٥)، الجزء الثاني، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانيّة - قسم الدراسات الأدبيّة، العدد ٧، ١٩٨٣، ص ١٠١-١٠٢.

####

أرسل الأمير شكيب أرسلان، في عام ١٩٤٥، رسالة إلى صديقه هاشم الأتاسي حدّثه فيها عمّا كتبه في هذا العام فإذا هو ١٧٨١ رسالة خاصّة، و١٧٦ مقالة في الصحف، و١١٠٠ صفحة في كتب طبعت... وليس في هذا الأمر أية مبالغة. فقد عُرف عن الأمير أنّه كان يكتب و يطالع كلّ يوم ثلاث عشرة ساعة بجلّد لا ملل معه، وصبر لا نفاذ له. وقد اشتهر بقوة الذاكرة، إلى حدّ يكاد يبعد عن التصديق... وقالت زوجته عنه "إنّ حياته كلّها كانت قراءة وكتابة، ولم يكن عنده وقت للجلوس مع أبنائه أو للمشاركة في تعليمهم".

ولفترة طويلة من الزمن (من مطلع القرن وحتى منتصفه) كان الأمير شغل الدينا وشاغلها... ولو قرأنا كتاب " ذكرى الأمير شكيب أرسلان" (وهو يحتوي على معظم ما قيل في تأبين الأمير عام ٤٧ - وقد جمعه صديقه المجاهد الفلسطيني الكبير محمّد علي الطاهر) لوجدنا أنفسنا أمام إنسان يصعب إسباغ صفات محدّدة عليه، أو حصره في نطاق معين من ناحية الشخصية والتأثير والنتاج الثقافي والممارسة السياسيّة... فهو حقاً أمير البيان، وشيخ المجاهدين، والعالم والفيلسوف والكاتب المفكّر والمؤلّف العظيم، وبطل من أعزّ أبطال الأمة العربيّة، وهو أمة في الجهاد والعلم والأدب، وهو أوّل من نادى عن عقيدة وإيمان بتكوين جامعة عربيّة، وهو أعلم الناس بأحوال العرب والمسلمين، وأوتقهم بالتاريخ الإسلاميّ، وهو أمة في رجل، ومجموعة في فرد، ومنارة يُهتدى بمهديا ويُستنار بنورها... هو إمام الأحرار وعميد المجاهدين... وهو السياسيّ الأكبر الصادق الفراسة، الصحيح الرأي، البعيد النظر. وهو أعظم محامٍ عن قضايا العرب والمسلمين، وقد حمل أعباء ثقلاً تنوء بمحملها كواهل الرجال، فخلّف بوفاته فراغاً هائلاً شعر به المسلمون من أقصى حدود الصين إلى أقصى سواحل الأطلنطيّ، ومن ضفاف الدانوب إلى المحيط الهنديّ... وإنّ الدهر بمثله لشحيح، فلا يجود به أكثر من مرّة في كلّ قرن... وهو هالة من النبوغ والعبقريّة، وعظيم عظماء الشرق، وثروة أدبيّة تعجز عن جمعها دولة، وشمس الإسلام، وباعث الوحدة العربيّة. عالم في شخص، وموسوعة متحرّكة، قلّد اللغة العربيّة بالدرر، وبوفاته انقضى عهد وطوى النيسان صورة ذلك الجيل من المفاهير... ونحن لم ننقل هذه العناوين العامّة في الكلام عن الأمير إلّا للإشارة إلى أنّنا ننتمي إلى جيل لم يسمع بالأمير شكيب أرسلان، ولم يعرف عنه سوى اسمه (وربّما كان ذلك أيضاً غير أكيد)...

إنّ المعركة التي خاضها الأمير شكيب أرسلان ضدّ "الإستشراق الغربيّ" العنصريّ، وضدّ التقليد البيغويّ، ليست معركة كلاميّة أو معركة ألفاظ وعبارات وصياغات، وإنّما هي جذر كلّ المعارك. وجهاد الأمير دفاعاً عن التراث والتاريخ الحضاريّ، وعن الصفحات المشتركة في ماضي هذه الأمة، ودفاعاً عن الشخصية المستقلّة المتطوّرة المعطاءة، لم ينفصل إطلاقاً عن جهاده المسلّح ضدّ الغزو الإستعماريّ لبلاد... ويكفي أن نذكر مشاركته في الحرب مع المجاهدين العرب والمسلمين ضدّ الغزو الإيطاليّ لليبيا (١٩١١)، وفي حرب البلقان (١٩١٢)، وفي الحملة العثمانيّة على ترعة السويس، ثمّ عمله الدؤوب (١٩١٩-١٩٢٠) لتشكيل جبهة ثوريّة تحوّل حربيّاً شعبيّة، وتشكّل من حكومة دمشق الوطنيّة ومقاومتها للفرنسيّين، وثورة فلسطين، وثورة العراق والنجف، وثورة مصر، والمقاومة الوطنيّة التركيّة للقوى الأوروبيّة، وعلى تحالف مع الثورة البلشفيّة المنتصرة في روسيا، وأخيراً دوره البارز في الثورة السوريّة الكبرى (١٩٢٥)، وفي ثورات فلسطين المتكرّرة، وفي إسقاط مشروع الظهير البربريّ في المغرب، وإنّماض الحركة الوطنيّة المغربيّة الحديثة...

وحيث نقرأ للأمير مداخلاته اللغوية، ونتعرّف على معارك " القديم والجديد "، " والفصحى والعامية "، وأسلوب ومحتوى الشعرا الحديث، ونتعرّف في الآن نفسه على معاركنا الراهنة، وعلى ذلك الصراع المشتعل بين تيّار التواصل مع التاريخ والتقدّم على أرض الذات المتحرّرة المستقلّة الواعية، وتيّار التبعية والانهار أمام الغرب والركوع والتسبيح بحمد " قوانينه العامّة " ونظريّاته (المعتبرة دومًا هي الحقيقة و هي الكلام الفصل) وآرائه، وكلّ شاردة وواردة من إفرازاته الثقافيّة ... وحيث نقرأ للأمير ردّه على الدكتور طه حسين (في الأدب الجاهلي) نجد أنفسنا أمام نصّ وكأنّه كُتِب منذ أيّام، وأمام إسهام يشكّل علامة بارزة في مسيرة الصراع ضدّ دعاة التغريب التحديثيّ الأوروبيّ، وضدّ خرافة "العقلانيّة الأوروبيّة" التي تتكشّف ادعاءات باطلة، واستهتارًا بأبسط قواعد التحقيق والعلم التاريخيّ النقديّ.

سعود المولى (جمع وتقديم)،

شكيب أرسلان، مختارات نقدية في اللغة والأدب والتاريخ، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣، ص ٥ - ٧.

####

الأمير شكيب أرسلان هو، دونما أدنى شك، ظاهرة متميّزة تلفت النظر وجديرة بالكثير من الدرس والبحث والتحقيق.

هو المحاهد في سبيل إعلاء راية قومه وأهله ووطنه، المنافع عنهم والمدافع عن قضية تقدّمهم وحرّيّتهم. ولم يترك شكيب، في سبيل ذلك، ميدانًا لم يضرب لهم فيه جذورًا، ولا أغفل تاريخًا يبعث فيه شهادة وديلاً وبرهانًا (...).

هو رجل المبادئ، منذ صباه، اختار فأحسن الاختيار، وحسم في ذاته منذ البدء جملة شواغل ونوازع وميول، فوهب نفسه بكليّتها إلى قضايا قومه، فعدا والقضية واحدًا بل غدت حياته حتّى آخر العمر. هو رجل المبادئ يوم أيقن أنّ مقالة الكلمة، على بيّانها، لا تكفي لردع إيطاليا عند طرابلس الغرب؛ فتنكّب مقالة السيف، وقاد زمرة من الرجال قاصدًا طرابلس عبر بحر السبع. ولمّا حال الإنكليز دون بلوغ الرجال غايتهم، توسّل ما أمكن له من وسيلة إلى أن دخل طرابلس فانضمّ إلى الوحدات التي كانت تحاول ردّ الغزوة الإيطاليّة. وهو رجل المبادئ، ساعة أبي أن يرتدي "قبعة" جديدة و"قفازات" جديدة، في جملة المتحوّلين والمتبدّلين مع بداية الإنتداب الفرنسيّ، فرَضِي بالنفي ثمنًا لذلك.

وهو، إلى مبادئه، السياسيّ المحترف، يرصد مجاري الريح وماويها، فلا يرمي إلّا صائبًا محقّقًا، بكلّ ما تستدعيه السياسة من مواكبة وتبصّر ورؤى. بين شكيب والسياسة غرام استمرّ خمسين سنة، منذ شبابه، يوم انتخب، وهو دون الثلاثين، عضوًا في "مجلس المبعوثان" في الآستانة، إلى عضويّته في الوفد السوريّ- الفلستينيّ في جنيف سنة ١٩٢٥، إلى ترؤسه لوفد بلاده إلى لجنة عصبة الأمم في روما سنة ١٩٢٦، إلى تحوّل، أخيرًا، داعية وممثلاً في أوروبا لوطنه وأمتّه، لا يهدأ له براع، ولا تسكن له همّة، ولا تجد الخيبة أو التعب طريقًا إليه.

وهو "أمير البيان"، صاغ أبلغ الكلام وأفصح القول وأجزل السبك. فما فاق بيانه، في عصره، بيان، ولا بزه كاتب، فكأنه يقف إلى بحر لا يُعجزه لفظ أو معنى، بل يبلغ مریده بليغاً قويّاً متفرداً يترك فيه أثرًا لا يُنسى. وحين يغشى عن شواغل سياسة يومه، يأخذ السحر بناصية بيانه، فيحلق في اقتدارٍ وصنعة وتمكّن. هو في شعره ونثره معين لا ينضب، يؤتى من اللغة أفخمها وأجملها في آن، بل إنّ علاقته بالإمام محمد عبده لم تكن، في البدء، إلّا وليد تقدير لشكيب اليافع، يلقي قصيدة عصماء في حضرة الشيخ المنفيّ إلى بيروت.

وشكيب في نتاجه معطاء حتّى الإرهاق، ولو عرفت مقدار ما طالع شكيب وكتب لنالك العجب (...).

وشكيب صحافيّ عرف قدر الصحافة حقّ معرفة، فملاً متون صحف عصره مقالات وأبحاثاً ودعاوى دفاعاً عن القضية التي انتمى إليها وحضّ على نصرها. ولم يقف به الأمر عند حدّ تحرير المقالات، بل أدرك باكراً ضرورة مخاطبة الأوروبيّ بلغته فأسس، سنة ١٩٣٠، مجلّته La Nation Arabe "الأمة العربيّة"، محاولاً اختصار الطريق إلى العقل الأوروبيّ طمعاً بتفهّم أعظم لقضية قومه وابتغاء الاشتراك الأمتل في توجيه أمور السياسة نحو قضايا وطنه وأهله.

وكان شكيب، فوق ذلك كلّه، على قدر عظيم من الفضيلة. فهو، كما تروي السيرة، صديق صدوق، وفيّ، متحفّظ حتّى مع أخصامه ومنتقديه، يفرّق بين الصداقة الشخصية والخلاف السياسيّ. وهو، كما يروي عارفوه، دمث، رجب الصدر لا يبخل بتقدير لصديق استحقّه، بل لا يبخل بجواب لسائل أيّاً كانت أرضه أو رتبته.

محمد شفيق شيّ،

شكيب أرسلان، مقدمات في الفكر السياسيّ، الطبعة الأولى، بيروت، معهد الإنماء العربيّ، ١٩٨٣، ص ٧ - ٩.

###

كان الأمير شكيب أرسلان علماً من أعلام اليقظة الثقافيّة والسياسيّة في العالمين العربيّ والإسلاميّ في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، وكان مصلحاً اجتماعياً، وعالمًا بحثاً، وصحافيّاً معيّنًا، وسياسياً مناضلاً ووطنياً مجاهدًا، ومؤرّخاً طلّعة، فكان سجلاً حيّاً للنهضة العربيّة التي وضع أسسها، وأعلى بناءها، وكوّس لها حياتها.

وكان كاتباً وشاعرًا وذا معرفة واسعة بكلّ ما يتعلّق بالعرب والمسلمين. وخبيراً في السياسة العربيّة والدوليّة، وله جولات موفّقة في السياسة، والأدب، واللغة، والشعر، والتاريخ، والجغرافيا الشريقيّة، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، والترجمة، والشرح والتفسير، وعزّ أن يوجد له مثيل بين نوابغ العرب، وقد لُقّب بحقّ ب"أمير البيان".

للأمير شكيب مقالات و بحوث في شتى الصحف و المجالات يصعب احصاؤها، كما أنه كان معروفاً بحسن صلاته مع عارفه ومحبيه فكان يصلهم دائماً برسائله، فترك وراءه نحواً من ثلاثين ألف رسالة، وقيل انه كان يكتب مل لا يقال عن سبعمائة رسالة في السنة.

محمد خليل الباشا؛ نجيب حسين البعيني،

"أرسلان، شكيب بن حمود حسن يونس (١٨٦٩-١٩٤٦)" في معجم المؤلفين في الشوف والتمنين وقضاء عاليه، بيروت، نوفل، ١٩٩٩، ص ٨٣-٨٤.

####

شكيب أرسلان الكاتب المجاهد، نُعت ب"أمير البيان"، كان في مبتدأ حياته شاعراً وموظفاً إدارياً ونائباً في مجلس النواب التركي، ثم أقام في جنيف نحواً من ربع قرن، يدافع عن حقوق العرب وحرّياتهم، وينطق بلسانهم في فترة ما بين الحربين. ولم ييخل على أمته بالنصح والإرشاد، والدعوة إلى الأخذ بمحاسن الحضارة، مع الحفاظ على الأخلاق القومية والتقاليد العربية والإسلامية. وكتابه "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم"، المطبوع في القاهرة، يشخص الداء ويصف الدواء في عهد تآه فيه الناس بين المدنية الحديثة التي تبهر العيون وتجتذب الشباب ، والتقاليد الشرقية القديمة التي أصبحت تُعدُّ عنوان التخلف والانحطاط.

وشكيب بن حمود بن حسن بن يونس وُلِدَ في الشوفيات من أعمال لبنان في ٢٥ دسمبر ١٨٦٩ لأسرة تنتسب إلى التنوحيين ملوك الحيرة. وكان رأس الأسرة الأمير أرسلان (٧٢٧-٧٨٧) من سلالة الملك المنذر بن ماء السماء، أقطعه الخليفة المنصور العباسي أراضي في جبال بيروت فانتقل إليها بأهله وعمرها. [...].

ترك الأمير شكيب الشعر ومال إلى الترسّل، فقال خليل مطران: "وانصرف إلى الترسّل فحبس فيه ما أوتيه من العبقرية، فهو الآن في مذهبي إمام المترسّلين".

وقال مصطفى صادق الرافعي فيه: "حجّة الأدب وسيّد كتاب العصر". [...].

كان كاتباً وخطيباً بالعربية والفرنسية، وله صفحات مُترجمة عن اللغة الأخيرة، وعن التركية والألمانية. واختير عضواً بالمجمع العلمي العربي في الشام عند تأليفه، واختاره المجمع رئيساً له سنة ١٩٣٧، لكنّه لم يمارس الرئاسة.

مير بصري،

"دعاة القومية، الأمير شكيب أرسلان" في أعلام الوطنية والقومية العربية، الطبعة الأولى، لندن، دار الحكمة، ١٩٩٩، ص ٢١٧، ٢٢١.

####

"شكيب أرسلان" اسم ملاً في عصره كلّ مكان، واستغنى عن التعريف بابن فلان، فهو السياسيّ الطائر الصيت، وهو الكاتب الذائع الشهرة، وهو الرحّالة الواسع الرحلات، وهو المجاهد في سبيل وحدة العرب وأخوة الإسلام، وهو المؤلّف للعدد الكثير الضخم من الكتب والآثار، وهو "أمير البيان" الذي يجري لقبه مع اسمه على كلّ لسان يقرأ العربيّة، أو يتابع أحوال العرب! هكذا كان شكيب في حياته وعقب وفاته. ولكنّ سنوات قلائل تمرّ بعد رحيله، فإذا سيرة شكيب تُطوى، وإذا آثار قلمه تخفى، وإذا ذكره تستبدّ بها يد الإهمال أو النسيان، وإذا الجيل الجديد لا تقع عينونه على شيء من آثار هذا الرجل إلا نادراً، [...] إنّ واجب الوفاء يقتضي إزالة هذا الإهمال.

ولقد كتبْتُ عن شكيب رسالة للماجستير، درستُ فيها نواحيه الأدبيّة واللغويّة، فتحدّثْتُ عن شكيب الناثر، والشاعر، واللغويّ، والناقد، والمؤلّف [...] هناك نواحي كثيرة في شخصيّة شكيب تستحقّ الدراسة خارج نطاق الرسالة المقصورة على النواحي الأدبيّة واللغويّة. فهناك حياة شكيب الضخمة الحافلة، وصفات شكيب وأخلاقه، وشكيب والقوميّة العربيّة، وشكيب والإسلام، وشكيب البحّثة الدؤوب، وشكيب الصحافيّ، والخطيب، والمؤرّخ؛ ووعدتُ بأن أجعل هذه النواحي موضوعاً لبحث مستقلّ آخر عن أمير البيان. [...] ومثل هذا الرجل جدير بأن يدور عنه أكثر من بحث، وأكثر من حديث.

أحمد الشرباصي،

شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠١، ص ٧ - ٨.

####

ثلاثة عوامل كوّنّت هذه الشخصيّة الفدّة في ميدان الجهاد السياسيّ، وفي رحاب العلوم العربيّة، وفي دولة الأدب، فكان أمير البيان، وطلبة المجاهدين في العرب والمسلمين "شكيب أرسلان": أرومته الكريمة ذات الحسب الباذح، والسحايا العربيّة القويّة في تنوّحيتها ومنذريتها بحيث تفوّقت في العشيرة، وغنمت مفاخر بني معروف، منذ حلّت لبنان، قبل ثلاثة عشر قرناً، فظلّ هذا اللبناني الصلد يناضل في سبيل العروبة والإسلام ستين سنة من غير أن يصيبه الكلل. ومواهبه الفياضة التي وُلدت معه وتفجّرت من طفولته فبدت عليه مخائل النبوغ وهو يافع، ولم يقف اتّساع الشمول في ما تناوله هذا الدماغ الجبار من معرفة وبيان دون التفوّق والبروز. وتوتّب قومه وتحفّز ملته، فعرقه العربيّ اللبنانيّ الأصيل النابض بالحويّة المتدفّقة دفعه إلى النجدة والحميّة فتحنّد لداعي الوثبة، وخاض غمار النهضة، وعمل هذه الأعوام الطويلة في خدمة العرب والمسلمين: أديباً محبّباً بروائعه إلى القلوب، ومفكراً سياسياً حرّاً ينشد العزّة والحرّيّة لإخوانه والمجد لأوطانه، وعالمًا وباحثًا دارسًا يغدّي بني جلدته بنتاج فضله في كتبٍ ورسائلٍ سبقت آثاراً خالدة على وجه الزمن.

رفائيل بطّي،

"شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦)" في أعلام النهضة الحديثة، الحلقة الأولى، مستلّة من مجلّة الكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، ١٩٩٠، ص ١١٣.

###

[...] هذا في حين يذهب شكيب أرسلان مذهبًا آخر في تقدير الموقف خلال الحرب العالمية الأولى: يعارض سياسة جمال باشا الديموقراطية في سورية، ويحذره من معبّة هذه السياسة ومخاطرها على العلاقات العربيّة - التركيّة، ويستنجد بصديقه طلعت باشا لردع زميله عن هذه الممارسات. ولكنّه يمتنع عن التصريح أو العمل ضدّ الدولة العثمانيّة، لأنّ رأيه يتلخّص دائمًا في تفضيل الدولة العثمانيّة على حكم الأجانب، ومهما بلغت أخطاء الحكّام الأتراك. بل وإنّ شكيب أرسلان يشير في مذكراته إلى أنّ الجماعة في لبنان لا تعود إلى مسؤوليّة الأتراك، بل إلى الحصار الذي ضربه الحلفاء على السواحل السوريّة واللبنانيّة (أنظر: شكيب أرسلان، سيرة ذاتيّة، لاسيّما فصل " دور الحلفاء في مجاعة لبنان"، ص ٢٢٧-٢٣٦). فأدى ذلك إلى إيقاف حركة التبادل السلعيّ والماليّ التي يقوم عليها اقتصاد الساحل والجبل.

هذه المواقف أثارت لشكيب أرسلان خصومات حادّة من قِبَل طلّاب الإستقلال العربيّ بصيغته اللامركزيّة أو الانفصال، كما أدت إلى شيوع تأويلات " وتقويلات " لمواقفه وآرائه.

أما بالنسبة لشكيب أرسلان فيبدو أنّ المسألة الدستوريّة، وما يرتبط بها من قضايا الحريّات المدنيّة والسياسيّة وحقوق المواطنه في الداخل، لم تشغله ولم تُثر اهتمامه منذ البدء، على الرغم من انتسابه إلى المرجعيّة الإسلاميّة الإصلاحيّة الحديثة المتمثّلة بجمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده. لقد أخذ من هذه المرجعيّة، على ما يبدو لي، فكرة الجامعة والوحدّة والتوحيد، والإستقلال، وليس طبيعة هذه الدول وعلاقتها بالمجتمع. أمّا مجال تطبيق (فكرة الوحدّة)، فيبدأ بالتناقض وفقًا لتحوّلات التاريخ السياسيّ في العالم، وتقاطع المشاريع بين الداخل والخارج، بدءًا من مجال العالم الإسلاميّ، إلى المجال العثمانيّ، إلى المجال العربيّ، إلى المجال الإقليميّ والقُطريّ. وأمّا شروط تطبيق الفكرة فتتمثّل في وعيه السياسيّ منذ الفترة الحميديّة وحتى تحقيق الإستقلالات العربيّة في مناهضة السياسات الأجنبيّة الإستعماريّة، ومناهضة الصهيونيّة، ودعم ثورات التحرّر في العالمين العربيّ والإسلاميّ. وفي ممارسة أسلوب النشر والدعاية لقضايا العرب بالأجنبيّة، ولعلّه في هذا السياق، تأتي نشرته المعبّنة بالفرنسيّة في سويسرا La Nation Arabe، واقتراحه إنشاء مجلّة " مغرب " في باريس للدفاع عن قضيّة المغرب قى اورتا في العالم ١٩٣١. هذا، وعندما نتحدّث عن حصريّة الإهتمام بمنظومات من الأفكار عند رجل كشكيب أرسلان، أو عن غلبتها على أخرى، فإنّما الهدف هو إبراز المسكوت عنه في الخطاب أو اللامفكّر به. فهو عندما يحاول الإجابة على سؤال: لماذا تأخّر المسلمون؟ يحصر الإجابة بغياب " روح التضحية " عند المسلمين. ثمّ لا يلبث أن يحصر غياب التضحية في مجال الإعلام والنشر.

وجيه كوثراني،

"التأخي والإجتهدات المختلفة بين شكيب أرسلان ورشيد رضا" في السيّد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، الطبعة الأولى، الجزء الأوّل، المختارة - الشوف، لبنان، الدار التقدوميّة، ٢٠١٠، ص ١٨-١٩، ٢٨-٢٩.

###